التنافس الاستعماري
وأثره في اندلاع الحرب العالمية الأولى

د. عبد الله كاظم عبد
كلية التربية الأساسية - جامعة البصرة

المقدمة

دخلت قوى العالم الكبرى خلال النصف الثاني من عام ١٩١٤ مرحلة جديدة من مراحل الصراع الدولي . إذ تمثلت خلال تلك الفترة الحرب العالمية الأولى التي امتدت حتى عام ١٩١٨ ، بتأثير عوامل متعددة كانت منها مباشرة وأخرى غير مباشرة . وإلا كانت حادثة اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرانسيس فرديناند الذريعة التي تذرعت بها قوى العالم الكبرى وما ترتب عليها لتبرير المواقف التي ظهرت خلال تلك الحرب وعلى أوسع نطاق تجاوزت في آثارها ومياديتها حدود القارة الأوربية .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : « أيّ العوامل كان أساسا في اندلاع الحرب العالمية الأولى وما مدى تأثيره ؟ » ، إن الإجابة على هذا السؤال هي هدف هذه الدراسة .

وقد اعتمد الباحث في تدعيم وجهات نظره على قائمة من المصادر العربية والمعربة ، إضافة إلى بعض من مصادر التاريخ الأوربي باللغة الإنكليزية ومحاولة الاستفادة من بعض الوثائق المنشورة التي كان من أبرزها :

((British Documents on Origins of War 1898- 1914)) في حزمته الحادي عشر المؤلفين ((Temperly , Gooch)) .

وقد حاول الباحث الابتعاد نهائيا عن صيغة العناوين الفرعية بغية المحافظة على وحدة الفكرة والموضوع . والله من وراء القصد .

ذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار التنافس الاستعماري الأساس وراء اندلاع الحرب العالمية الأولى . في حين قلل آخرون من أهميته باعتباره واحدا من العوامل غير المباشرة التي أسهمت في قيام تلك الحرب . غير أن هذين الفريقين لم يكونا لوحدهما في رأيهما وموقفهما من التنافس الاستعماري ، ولم يكن ينتمي أي إلى الدرجة التي يصوره بها أصحاب الرأيين السابقين بشكل مطلق .

ISSN: 1812-7576

ولكن يبقى تساؤل مفاده ((أي الآراء الثلاثة نؤيد ونرجح ..؟)) ، ولكن وقبل الدخول في مناقشة هذا الأمر يجدر بنا العودة وضمن تسلسل منطقي يجرنا حتما إلى أسباب هذا التنافس الاستعماري ، وما هي أهم الميادين التي تنافست فيها بين الدول ؟ وما إذا كان هذا التنافس قد أثار أزمات معينة ؟ وإذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات أم على حلها ؟ وفي حال إذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات ، فما هي النتائج التي ترتبت على ذلك ؟ وهل تم حل المشاكل الاستعمارية الناتجة عن ذلك ومتى ؟ وما هي النتائج العامة للمشاكل الاستعمارية التي نتجت ؟

لم يكن التنافس الاستعماري وليد المصادفة ، بل أن هناك عوامل عدة كانت تقف وراءه ، ولعل الثورة الصناعية كانت أحد تلك العوامل ، حيث استخدمت الصناعة العلم وحصلت على مساعدة العديد من الفيزيائيين والكيميائيين الذين ركزت الحضارة الصناعية على نتاجاتهم العلمية أمثال فرداي ونسن وكلفن(١) .

كما أن الثورة الصناعية أدت إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته إلى درجة أصبحت معها الأسواق الأوربية عاجزة بمجملها على استهلاك البضائع المنتجة ، وضاق المجال أمام استثمار رؤوس الأموال داخل القارة الأوربية ، لذلك اتجهت الأنظار والجهود إلى خارج القارة بحثا وراء الأسواق وأماكن الاستثمار ومصادر المواد الأولية للصناعة المتنامية ، وقد تمثلت تلك الجهود بين عامي ١٧٨١ ـ ١٩١٤ في محاولة الدول الأوربية السيطرة على الأقطار الآسيوية والأفريقية للأغراض المذكورة آنفا(٢) .

ومما يقال في مجال الثورة الصناعية ، أنها وعلى سبيل المثال وفرت مقدارا من الصلب بما يزيد على مئة مرة من ذلك الصلب الذي أنتج واستخدم في حروب نابليون وأعدائه ، حيث أنتج في الأفران الحديثة والمصانع التي أقيمت في أوربا(٣) ، ولعل أسلوب استخدام هذه الكمية الضخمة معروفة ، إذ أن الصناعة العسكرية أخذت تخطو خطوات سريعة بعد أن جندت طاقات الصناعة لخدمتها في العديد من البلدان الأوربية .

وتتضح مسألة التنافس الأوربي بشكل أكبر إذا ما أخذت المرحلة التي سبقت انعقاد مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) ، حينما جرت محاولات لتقسيم غرب أفريقيا بين بريطانيا وفرنسا كمحاولة أولى ، غير أن الأمر تغير حينما دخلت ألمانيا كمنافس جديد في هذا الميدان ، ولا سيما وأن بسمارك كان يدافع عن المصالح التوسعية لألمانيا بين عامي ١٨٨٣-١٨٨٥(٤) .

وأثناء انعقاد مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) ، تم الاتفاق على بدء إمبراطوريات استعمارية رسمية ، مما أدى إلى حصول كل القوى الكبرى آنذاك على حصة في القارة الأفريقية ، وظهرت خلالها سلسلة من عمليات التقاسم كما هو الحال في التقاسم البريطاني ـ الفرنسي ، والتقاسم البريطاني ـ الألماني الذي حصل عام ١٨٩٠(٥) ، ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالاستعمار الاستقراري ـ إن صح التعبير ـ الذي كان سيؤدي كنتيجة حتمية إلى قيام

علاقات متبادلة بين الدول الاستعمارية والمناطق الخاضعة لنفوذها أو سيطرتها ، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى
قيام علاقات سياسية بين الدول الاستعمارية والمناطق الخاضعة لنفوذها أو سيطرتها ، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى قيام أزمات خطيرة عرضت السلم العالمي للخطر.

وقد دفعت الدول الأوروبية عوامل تحث البعض منها بحاجة صناعاتها النامية من أسواق ومصادر للمواد الأولية ، في حين كان البعض منها بعد فترة من الزمن يلحق بما تراه بعض الدول على أنه دليل على العظمة والقوة الدولية ، لذلك اتجهت بعض الدول نحو الاستحواذ على مستعمرات جديدة ، مع التأكيد على تشديد قبضتها على مستعمراتها القديمة ، ورافق ذلك سباق في التسلح في المجال البحري بشكل خاص ، إضافة إلى ظهور النزعة العسكرية نحو اكتساب المستعمرات تلك.

فكان من الطبيعي أن ينشأ تنافس استعماري واسع النطاق ، ازداد توسعاً مع زيادة الدول التي تستحوذ عليها هذه الأفكار ، خاصة مع ظهور ألمانيا والولايات المتحدة واليابان التي لم تكن تملك إلا حصصاً قليلة جداً بالمقارنة مع ما كانت تملكه كل من فرنسا وبريطانيا .

وعليه فقد عملت ألمانيا التي كانت تعد من أكثر الدول نشاطاً في ميدان العمل والحصول على السيادة وإعادة تقسيم مناطق النفوذ في العالم ، ولعل ذلك يبدو واضحاً من خلال التصريح بأن ألمانيا تبحث لها عن مكان تحت الشمس ، وقد يدفعهم في ذلك قوة ألمانيا وحيويتها وسعة اقتصادها والنمو السريع لسكانها ، وهو ما صرح به الألمان أنفسهم.

ومن أبرز الخطوات التي اتخذها الألمان في هذا المجال هو إرسالهم للحملات العسكرية لتحقيق لأغراضهم ، كما أن ألمانيا عملت على تطوير وتوسيع أسطولها الحربي حتى أخذ ينافس الأسطول البريطاني ، وحينما توغلت ألمانيا في القارة الأفريقية أصبح لها ما ينسب إليها ، فحصلت على ما يسمى بأفريقيا الجنوبية الغربية الألمانية ، التي انطلقوا منها نحو التوغو والكاميرون ثم إلى زنجبار.

ولم تقتصر جهود ألمانيا في هذا المجال على القارة الأفريقية ، بل أبدوا رغبة في التدخل في أمريكا اللاتينية ، أضف إلى ذلك ما أصبح عند الألمان في القارة الأوروبية ذاتها عندما أخذوا يحلمون بإقامة « ألمانيا العظمى » في قلب القارة الأوروبية لتشمل البلاد الاسكندنافية وبلجيكا وهولندا ودول البلطيق وبولونيا وأوكرانيا والنمسا والمجر والبلقان وقسم من فرنسا وأجزاء من آسيا.

ISSN: 1812-7576

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على مثل هذه التطلعات لوجدنا أنها كانت ، بشكل مؤكد لأكثر من قوة عظمى في حينه ولا سيما روسيا فيما يتعلق بالبلقان ، وبريطانيا في بلجيكا وهولندا ، وكذلك فرنسا والنمسا والمجر . وإن كانت مثل هذه التطلعات ستثير بعض الدول ، فإنها ستدعو الأخيرة قطعا إلى ممارسة سياسة تحول دون تمكن الألمان من تنفيذ تطلعاتهم الاستعمارية . ولعل ما يثير موضوعا كهذا هو أن العسكريين الألمان كانوا قد حلموا أيضا بإقامة إمبراطورية استعمارية تشمل مساحة واسعة من أفريقيا وأمريكا اللاتينية والسيطرة على المحيط الهادي أيضا [٥١].

تجاه ذلك ظهرت فكرة التحالفات والاتفاقات التي رسمت للوقوف بوجه أطماع دول معينة أو لعزل دول أخرى ، أو الحيلولة دون تحقيق مطامع دول أخرى ، أو للتخفيف من احتمال نشوب حرب بسبب التنافس القائم وتضارب المصالح . ولعل ومن أهم تلك التحالفات والاتفاقات هي عصبة الأباطرة الثلاث ١٨٧٣ ، والتحالف عام ١٨٧٨ بين ألمانيا والنمسا والمجر ، وما سمي بالحلف الثلاثي عام ١٨٨٢ [٥٢]. ولندع من ألمانيا ونتحول إلى فرنسا لوجدنا أنها مع جهودها الاستعمارية في القارة الأفريقية فإنها كانت تحلم باستعادة الألزاس واللورين اللتان انتزعتا منها عنوة على يد الألمان في عام ١٨٧١ بعد حرب عام ١٨٧٠، كما أن لها خططا توسعية في قلب ألمانيا [٥٣].

من جهة أخرى كانت روسيا تسعى لاستعمار دول البلقان وتأمين منفذها إلى المياه الدافئة عبر مضايق البسفور والدردنيل والسيطرة على هذه المضايق بالنتيجة [٥٤].

أما ما يخص بريطانيا العظمى فإنها اشتبكت ولأكثر من مرة مع قوى أخرى دفاعا عن بعض المراكز التي حصلت عليها مسبقا ، أو أنها كانت تحاول بذلك الحصول على ميادين جديدة . ثم تتوقف المنازعات الاستعمارية في أفريقيا مثلا ، وبخاصة بين الفرنسيين والبريطانيين والألمان . وإذا كانت بريطانيا قد واجهت منافسة ألمانية في جنوب أفريقيا ، فإنها واجهت تنافسا فرنسيا إيطاليا أصبح حادا في أعالي النيل ، وقد نشبت بسبب ذلك بعض الأزمات والتي من أشهرها أزمة فاشودة(*) عام ١٨٩٨ [٥٥].

لم يصل هذا التنافس إلى غايته إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعد أن نشأ نزاع شديد حول امتلاك المستعمرات ، فلقد تم تقسيم أفريقيا ، وشمل ذلك أيضا بلاد فارس والدولة العثمانية ، ولم يكن المتنافسون مدفوعين بدوافع اقتصادية فقط ، بل أن عامل البحث عن العزة القومية كان أحد الأسباب وراء ذلك والإحساس بالضعف في حال بقائها دون امتلاك مستعمرات واسعة كما هو أمر المستعمرات البريطانية والروسية [٥٦].

أعقب ذلك اتحاد النزعة القومية مع المدنية الصناعية خلف الروح الاستعمارية الملتهبة التي سبقت الحرب العالمية الأولى [٥٧] ، يضاف إليها دخول الدول الكبرى وصب الجهود في مضمار سباق التسلح كشرط أساس في دعم تلك الروح [٥٨].

وبذلك يلاحظ أن الدافع الاقتصادي لم يكن الدافع الوحيد وراء هذه الجهود الاستعمارية ، فقد عملت الدول الاستعمارية على توجيه جهودها لتقوية المؤسسة العسكرية وذلك من خلال اتجاهين الأول : المحافظة على الجيوش والأساطيل وتحمل نفقات إدامتها وتوسعها . أما الثاني : فقد انصب على السيطرة التي فرضتها فئة من العسكريين على مقاليد بلادهم والإدارة السياسية فيها ضمن إطار عسكري .

وإن كان الحديث عن سباق التسلح ، فيجدر بنا الإشارة إلى أن كل من فرنسا وألمانيا حققتا بمواقعهما الخاصة بخوضهما سباق التسلح امتد لفترة ليست بالقصيرة بين عامي ١٨٧١ - ١٩١٤ ، كما طبقت فرنسا التجنيد الإلزامي استمراراً لهذا النزاع . ورغم هذا السباق فان التنافس الاستعماري لم يكن الهدف على الدوام ، بل أننا نلاحظ أن هذا التنافس كان يخفت حيناً أو يخفف حيناً آخر ويعود إلى الظهور مرة أخرى بحسب الإمكانيات والخطط المتاحة والمرسومة[xx].

ولا ضير أن نذكر أن عهد الجمهورية الثالثة في فرنسا وابتداءً من عام ١٨٧٩ قد أثر على تطور ونمو حركة ظهور فرنسا كدولة استعمارية تأتي بالمرتبة الثانية بعد بريطانيا في سعة الممتلكات فيما وراء البحر[xxi] . في حين يعد البعض فرنسا بأنها استخدمت تقسيم الاستعماري قبل تلك التاريخ ، وذلك في إشارة إلى عام ١٨٣٠ بحجة الدفاع عن سلامة الأراضي الإقليمية لفرنسا[xxii] .

ولكن لم يبق السبب وراء ذلك يكمن فيما ورد ذكره من أسباب ، وإنما أخذ العديد من الساسة الفرنسيين يلوحون بضرورة استعادت فرنسا لمكانتها السابقة في نظر أوربا حيث اعتبروا أن الهزيمة الأخيرة أدت فيما أدت إليه إلى انحدار فرنسا في الصف الأوربي[xxiii] .

ومن الجانب الآخر وجدت معظم الدول في نظام التجنيد الإلزامي الذي طبقته ألمانيا ، أسلوباً منظماً وعملياً لذلك فقد اتبعته كما أثر ذلك بالدرجة على تشكيل السلطة الحاكمة حيث أصبحت هي طبقة الضباط وبخاصة في ألمانيا[xxiv].

ونتيجة التنافس الاستعماري لوحظ أن القوى الاستعمارية قد وسعت مستعمراتها من لمساحة ما يعادل ٨٥% من مساحة سطح الأرض عشية قيام الحرب العالمية الأولى[xxv] . ولعل ذلك يدل على أنه لم يبق شيء لم يتم احتلاله أو بسط النفوذ عليه . يضاف إلى ذلك إمكانية حل العديد من الأزمات التي نشبت بين الدول الكبرى ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهايته ، حيث بلغت تلك الأزمات التي أمكن حلها ما يقارب الخمس وخمسون أزمة . وقد ازدادت مثل هذه الإمكانية مع عقد مؤتمر في لاهاي عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ تبحث في أمر التسلح وإقامة محكمة لفض النزاعات[xxvi] .

ISSN: 1812-7576

وبذلك يلاحظ بأن ليس هناك ما يشير إلى حدوث تصادم كبير وخطير يمكن أن يثير الحرب أو يؤدي إليها ، بل أن الاتجاه كان يسير نحو تسوية وحل ما أمكن من المنازعات . وبذلك يصبح القول بأن اصطدام المصالح الاقتصادية للدول لم يكن كافيا لاندلاع الحرب العالمية بالشكل الذي اندلعت عليه[xxvi] .

فقد كان يمكن أن تحدث الحرب بين قوتين أو ثلاث أو مجموعة صغيرة على أكثر تقدير . وهذا ما حصل مثلاً عند اندلاع الحرب بين روسيا واليابان عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ ، أو التهديد بالحرب ، كما حصل بين فرنسا وألمانيا ، أو تغيير نظام التحالفات الدولية كتوقيع الاتفاق الفرنسي الإيطالي عام ١٩٠٢ ، والفرنسي البريطاني عام ١٩٠٤ ، والبريطاني الروسي عام ١٩٠٧[xxvii] .

عند حلول القرن العشرين لم تبق بقعة قابلة للسكن دون أن تهتدي إليها إحدى الدول الكبرى ، ولم يبق شيء بالنتيجة لأن يتم التنافس عليه إلا توسع بعض الدول نفسها على حساب البعض الآخر[xxviii] ، الأمر الذي كان لا بد أن يؤدي إلى حدوث اصطدام عسكري قد يؤدي إلى إشعال نار الحرب .

ويبدو أن بالإمكان تقسيم المراحل التي مر فيها التنافس الاستعماري إلى المراحل الآتية :

تمثلت المرحلة الأولى في التوجه الحثيث لبعض الدول نحو تحقيق مصالحها الاقتصادية . تبعته مرحلة الاستحواذ والتنافس والسيطرة والمحافظة على ما أمكن من المستعمرات ، غير أن هذا لم يستمر إلى ما لا نهاية فقد تم تغطية سطح الكرة الأرضية بشكل كامل بالسيطرة الأجنبية[xxix] ، وبدأت المرحلة الانتقالية ما بين نهاية التنافس على المستعمرات وبين محاولة بعض الدول التوسع على حساب البعض الآخر ، وهي المرحلة التي بدأت خلالها عمليات التسوية وحل الأزمات .

ومن الأمثلة على محاولة إيجاد الحلول على بعض الأزمات هو مشروع سكة حديد بغداد برلين ، الذي لم تنته أزمته إلا بعدما فتحت الأبواب أمام المحادثات بين بريطانيا وألمانيا ، وفي الوقت نفسه التي رأت فيه بريطانيا وفرنسا أن من الأصلح لكليهما الركود إلى إنهاء التوتر في العلاقات الدولية وإعطاء ترضية لألمانيا في الميدان الاقتصادي ، حتى أن إدوارد غراي أعلن في مجلس العموم البريطاني في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١١ ، بأنه إذا كانت ألمانيا ترغب في أن يكون لها مكاناً تحت الشمس في أفريقيا فإن بريطانيا لن تضع العقبات في هذا السبيل ، فضلاً عما صرح به وزير الدولة للشؤون الخارجية في ٢٠ كانون الأول ١٩١١ في أحد لقاءاته مع السفير الألماني أن بريطانيا « ليست لديها النية لمنع الأراضي الألمانية من الامتداد إلى الشرق أو الغرب عبر أفريقيا الوسطى»[xxx] . وبذلك يلاحظ أنه بريطانيا في نقطتين هامتين هما تسهيل عملية التوسع الاقتصادي والإقليمي لألمانيا وهذا يؤكد

ن مسألة التنافس الاستعماري خارج أوربا، لم يكن لها أثار كبيرة على التوجه صوب حرب عالمية ، حيث أن العداء وتصادم المصالح لا يظهر في الجوانب الاقتصادية والمالية .

ولكن إذا ما قورن بين ما تبديه بريطانيا الآن وما كانت عليه العلاقة بينها وبين ألمانيا من تدهور كما في عام ١٩٠٨ ، عندما اندلعت الأزمة بين الدولتين حول الاقتراح البريطاني المتضمن تقليص معدل بناء الأسطول الألماني لأن في ذلك سببا يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر والاقتصاد في النفقات ، لوجدنا أن بريطانيا في موقفها هذا وما سبقه من روسيا في حينها يوحي تماما بأن بريطانيا كانت على معرفة مسبقة من احتمال حدوث حرب في غضون سبع أو ثمان سنوات أو أنها كانت تعد العدة لحصول مثل هذه الحرب (xxxii)، ولعل ما يؤكد ذلك هو قيامها بالمناورات البحرية بين عامي ١٩١٣-١٩١٤ وفق خطط اعتبرت في حينها اختبارا حقيقيا لنظام التعبئة الكامل (xxxiii).

أما روسيا فقد كانت تبحث عن السيطرة على المضائق التركية ، غير أن ألمانيا كانت تنافسها في ذلك ، حيث أن الأخيرة كانت قد أرسلت بعثة عسكرية ألمانية للتنظيم والتدريب للجيش العثماني (xxxiv)، وهي الخطوة التي واجهت معارضة روسية حيث أن تحكم الألمان بالمضائق العثمانية بحكم علاقتهم الودية مع الحكومة العثمانية يعد استفزازا لروسيا التي كانت تحلم بفرض سيطرتها على تلك المضائق.

أضف إلى ذلك تغير طبيعة الصراع عما كان عليه قبل الحروب البلقانية ، فقد كان الصراع حينذاك حول شبه جزيرة البلقان ، في حين أصبح فيما بعد صراعا مباشرا هدفه التنافس على المضائق العثمانية (التركية) ، وإذا كان قد تم تسوية هذا الموضوع فإن جذوره لم تمس بالتسوية مما كان ينذر باندلاع حرب بين الدولتين (xxxv).

وبالمقابل وبعد أن أصبحت المنافسة حول المصالح هي الأساس بين الدول الأوربية وأخذ سباق التسلح يخطو خطوات سريعة وكبيرة (ملاحظة) والذي انساقت إليه أغلب الدول الأوربية وبلغ أوجه عشية قيام الحرب العالمية الأولى (xxxvi).

وعلى سبيل المثال قررت ألمانيا زيادة جيوشها الدائمة وصرحت بصرف مبلغ بليون مارك على الأمور العسكرية غير الاعتيادية (xxxvii) ، كما أن فرنسا من جانبها أعلنت عن تمديد مدة الخدمة العسكرية الإلزامية من سنتين إلى ثلاث سنوات ، في حين رصدت روسيا مخصصات حربية هائلة ، فيما عمل المستشارون الألمان ببناء جيش عثماني حديث ، كما تم إمداد النمسا والمجر بقوة مدفعية حديثة ، قابلها تخصيص بريطانيا مبالغ طائلة لتطوير وتسليح بحريتها ، كما أدخلت بلجيكا نظام التجنيد الإلزامي (xxxviii).

ISSN: 1812-7576

أن تلك الاستعدادات جعلت من بريطانيا وفرنسا وروسيا وصربيا وبلجيكا خزينا بشريا يضم (٢١٨) مليون نسمة عام ١٩١٤ في حين كانت ألمانيا والنمسا والمجر تضم (١٣٠) مليون نسمة . وعلى صعيد القوات العسكرية حشدت دول الوسط - ألمانيا والنمسا والمجر - (١٩١) فرقة عسكرية ، في حين استطاعت دول الوفاق - بريطانيا وفرنسا وروسيا وصربيا وبلجيكا - من وضع (١٩٦) فرقة عسكرية . بينما تفوق الجيش الألماني بمدفعيته ثلاث مرات على الجانب الروسي ، فأصبح الجيش الألماني بناءً على هذه الأفضليات خير أداة للحرب ، لكن الأمر بالنسبة للبحرية الألمانية كان على عكس هذا الموقف في القوات البحرية [xxxix].

وبناء على ما تقدم يمكن أن نخلص أنه وبسبب انهيار توازن القوى فإن السلام قد أصبح في مهب الريح ، وأنه أصبح على وشك الانهيار لا سيما وأن روسيا أخذت تستعيد عافيتها بعد الهزيمة أمام اليابان ، وكذلك فرنسا ، الأمر الذي أرادت معه ألمانيا أن تنهي ذلك بالحرب [xl].

من جانب آخر كانت روسيا تعد نفسها راعية العنصر السلافي ، وهي في هذه المرة على غير الحال التي كانت عليها سابقا بانشغالها في جبهات أخرى أو لضعفها ، فهي في هذه المرة قد عزمت في دعم ومساندة الشعوب السلافية إذا ما اندلعت الحرب . في حين أن بريطانيا كانت تتردد كثيرا في دخول حرب عالمية غير محسوبة العواقب [xli].

وعلى الرغم من الموقف أنف الذكر لبريطانيا إلا أنها لم تعط وعداً بالحياد إذا ما اندلعت الحرب [xlii]، فأعطت تعهداً بصيانة حياد بلجيكا [xliii] ، الأمر الذي دفعها إلى إعلان الحرب على ألمانيا ما أن خرقت الأخيرة حياد بلجيكا بدخولها في ذلك توقعها وخوفها من توسع السيطرة الألمانية على القارة الأوربية بكاملها وتهديد الإمبراطورية البريطانية في العالم أجمع . غير أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أن الحرب لم تكن إلا نتيجة لتضارب المصالح الحيوية للدول الكبرى ، إذ كانت فرنسا وروسيا تخشيان من الهيمنة الألمانية التي إذا ما تركت لتوسعت وأصبحت أكثر تحكماً بالاقتصاد العالمي [xliv] .

وبناءً على ذلك وضعت الدول الكبرى المتنافسة نصب عينيها القضاء على القوى المعادية لها قضاءً مبرماً من دون تحقيق مكاسب إقليمية أو سياسية أو اقتصادية محدودة ، على الرغم من الدعاية التي نشرها الألمان أنهم يبحثون عن تحقيق ذاتية الشعب الألماني [xlv] ، أو ما أعلنته دول الوفاق من أنها تحارب للدفاع عن نظمها الديمقراطية بمواجهة الدكتاتورية الألمانية [xlvi].

ومن جانبها وجدت ألمانيا أن الوقت مناسب لها لتوجه ضربة لأعدائها المتحالفين ضدها[xlvi] ، حيث أن روسيا لم تكن تستطيع أن تكمل تسليحها إلا بحلول عام ١٩١٧ ، فضلاً عن شعورها بإمكانية تحقيق النصر التام على أعدائها في هذه الحرب[xlvii].

وبذلك نلاحظ بأن مسألة التنافس الاستعماري قد زالت بشكل تام تقريباً من أذهان ساسة ومدبري الأمور وقرارات الدول الكبرى، واقتصرت على محاولة تحطيم بعضهم البعض . فالحرب عندما بدأت هي حرب أوربية داخل تلك القارة ، ومن مصالح تخص دول القارة الأوربية وعلى أرضها تطالب بها دول أوربية أيضاً غير أن مرعان ما أخذت بالاتساع تنفيذاً لإرادة ساسة تلك الدول .

الخاتمة :

شغل التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية حيزاً مهماً من التاريخ الأوربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد أدت الثورة الصناعية إلى سعي محموم من قبل الدول الأوربية للحصول على المستعمرات بغية تأمين الأسواق الخارجية لمنتجاتها الصناعية الفائضة من جهة والحصول على المواد الأولية من جهة أخرى ، وقد خلق هذا التسارع في السيطرة على المستعمرات أزمات وصراعات سياسية وعسكرية بين الدول الأوربية .

ولم تقتصر المنافسة بين الدول الأوربية على المستعمرات فحسب بل تعدتها إلى المنافسة من أجل الحصول على مناطق نفوذ وامتيازات اقتصادية في المناطق غير الخاضعة للسيطرة الاستعمارية في القارات الأخرى وفي أوربا نفسها . كما لم يكن الدافع الاقتصادي رغم أهميته العامل الوحيد وراء السيطرة على المستعمرات ، بل أنه أصبح من متطلبات « الهيبة » بالنسبة لهذه الدول التي كانت تفاخر بما لديها من مستعمرات ومناطق نفوذ .

ولعل أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة يمكن إيجازه بما يأتي :

١ ـ كانت القوى الكبرى في العالم قد وصلت عشية اندلاع الحرب إلى درجة كان لكل منها مواقف ودوافع يمكن أن تثير .

٢ـ أن الاستحضارات العسكرية التي كانت تتم وتنظم التحالفات الدولية ظلت أسيرة الأهداف المشتركة أو الفردية في جانب منه أو الآخر .

٣ـ أن مسألة التنافس الاستعماري كانت موجودة طوال فترات طويلة ، ولم تكن بالشيء الجديد . غير أن حدة هذا التنافس تباطأت وبت المسألة القول أنها تراجعت غير أن عوامل كالقومية والتحرر والسيادة كانت

هي قرائن بمسألة التنافس الاستعماري . فقد استخدمتها بعض الدول لتبرير تصرفاتها أو نزعاتها العسكرية .

٤- أن ما يطلق عليه بـ (الحرب العالمية الأولى) يمكن اعتباره محاولة أوربية لتغطية الصفة التي كشفت عليها هذه الحرب . فهي حرب بين دول أوربية حينما بدأت ، كما أنها تمت من خلال القتال بين جيوش أوربية وعلى أرض أوربية ، فهي إذا الحرب الأوربية الشاملة الأولى حينما بدأت . غير أنها وبعد توالي السنين اصطبغت بالصبغة العالمية لتحول منطق النفوذ الأوربي خارج أوربا إلى ساحات للقتال وميادين للتنافس .

٥- بيد أن مسألة التنافس الاستعماري لم تكن هي تلك المسألة التي يمكن أن تؤدي بالعالم إلى ما آل إليه في عالم ثنوي إن صح التعبير .

ISSN: 1812-7576

الهوامش

(i) أحمد عبد الباقي ، الثورة الصناعية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٥٥-٥٦ .

(ii) محمد محمد صالح ، ياسين عبد الكريم ، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٨٩-٣٩٠ ؛ يقظان سعدون العامر ، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة ١٨٧٠-١٩١٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد / ٥١ ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٤٩-٥٠ .

(iii) جون نيف ، الحرب والتقدم البشري ، ترجمة محمد عبد المجيد رؤوف وآخرون ، ج٢ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص٤٨١-٤٨٣ .

(iv) يقظان سعدون العامر ، محاولات بريطانيا إشراك ألمانيا في مشاكلها الاستعمارية في آسيا الوسطى ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد / ٣٤ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٨٥-١٩٠ .

(v) فاضل حسين ، كاظم هاشم نعمة ، التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥-١٩٣٩ ، ط٦ ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص١٥٤-١٥٥ .

(vi) ر.ج هارليون تشرش ، الاستعمار الحديث ، ترجمة دولت صادق ، القاهرة ، د.ت ، ص١٤٢ .

(vii) فاضل حسين ، كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ١٩٨٢ ، ص١٥٦ .

(viii) عبد الوهاب عباس القيسي وآخرون ، تاريخ العالم الحديث ١٩١٤-١٩٤٥ ، ط١ ، الموصل ، ص٨٧ .

(ix) عبد القادر يوسف الجبوري ، التاريخ الاقتصادي ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص٢١١-٢١٦ ؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر : يقظان سعدون العامر ، العلاقات الألمانية الروسية خلال عهد السياسة العالمية ١٨٩٤-١٩٠٢ : بحث غير منشور ، هامش ص٢٦ ؛ وكذلك ينظر : هـ.أ.ل. فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط٦ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص٤٢٤-٤٢٥ .

(x) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

(xi) المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

(xii) محمد مظفر الأدهمي ، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ ؛ يقظان سعدون العامر ، أمبرة روسيا في سياسة بسمارك الخارجية ١٨٧١-١٨٨٧ : بحث غير منشور ، ص١ .

ISSN: 1812-7576

(xiii) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص٢١٢ ؛ يقظان سعدون العامر ، معاهدة الحلف الألماني الروسي العاشلة ، مجلة المؤرخين والآثاريين ، العدد / ٧ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٩٧-٩٨ .

(xiv) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

(xv) فاشودة : قرية صغيرة في أعالي النيل وقد وصل إليها ٩٩ من الرواد الفرنسيين بقيادة مارشان عام ١٨٩٨ ورفعوا العلم الفرنسي عليها ، الأمر الذي أثار بريطانيا واعتبرته تجاوزا على مناطق نفوذها مما أدى إلى توتر خطير في العلاقات البريطانية والفرنسية . غير أن وزير الخارجية الفرنسي دلكاسيه استطاع تجنيب بلاده حربا مع بريطانيا بعد أن كانت الأساطيل قد عبئت والحرب أصبحت قاب قوسين أو أدنى ، وهو ما عرف بأزمة فاشودة . للمزيد من التفاصيل ينظر : فاير : المصدر السابق ص١٧-٤١٨ ؛

(xvi) جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٣٢-٣٣ .

(xvii) رمزي ميور ، النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص٣٢-٣٣ .

(xviii) رمزي ميور ، المصدر السابق ، ص٣٤ .

(xix) لويس ل. شنايدر ، العالم في القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبود السامرائي ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص٤٧ .

(xx) براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوربا (١٨٧٠-١٩٧٠) ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٦٢-٦٤ .

(xxi) كارلتون هيز ، التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسين ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص٣٤٨ .

(xxii) غي دوبوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، ترجمة إدوارد الخراط ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٢٩٢ .

(xxiii) نور الدين حاطوم ، تاريخ الحركات القومية ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص٢١-٢٢ .

(xxiv) رمزي ميور ، المصدر السابق ، ص٢٩ ؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر : براين بوند ، المصدر السابق ، ص٥-١٨٨ .

(xxv) هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار وأشكاله وتطور أساليبه ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٤٠-٤١ .

(xxvi) رمزي ميور ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

ISSN: 1812-7576

(xxvii) جلال يحيى ، المصدر السابق : ص٤٧٨ .

(xxviii) المصدر نفسه ، ص٤٨٦ .

(xxix) فتنس حسين : كاظم هاشم حسين ، المصدر السابق ، ص١٦٤ .

(xxx) ولعل رمزي ميور يجعل لكلام أكثر تحديداً بذكره أنه لم يبق على سطح الأرض منطقة غير خاضعة لنفوذ أوربا خضوعاً مباشراً أو غير مباشر . ينظر : رمزي ميور ، المصدر السابق .

(xxxi) جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص٥١٢-٥١٣ . وللتفصيل ينظر :

James Williams; Ashort history of the British expension; 2nd.ed;London-1934; P.260-261.

(xxxii) تايلر ، الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨ ـ ١٩١٨ ، ترجمة د. كاظم هاشم نعمة ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص٥٠٧-٥٠٩ .

(xxxiii) Winston. S. Churchill; The World Crisis 1911-1918; London-1942, P.108

(xxxiv) كانت ألمانيا قد أكدت في معاهدة إعادة الضمان تأييدها لسيطرة الروس على المضائق التركية . أنظر : يقظان سعدون العامر ، معاهدة إعادة الضمان الألمانية الروسية أهميتها وأسباب عدم تجديدها ١٨٨٧-١٨٩٠ ، بحث غير منشور .

(xxxv) سمعان بطرس فرج ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٣٢٣ .

(xxxvi) جارتي برون : الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر ، ترجمة نقولا حجاب ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص١٩٥ .

(xxxvii) للتفاصيل أنظر : يقظان سعدون العامر ، سياسة النهج الجديد وأثرها على العلاقات الألمانية والروسية ١٨٩٠-١٨٩٤ ، بحث غير منشور ، ص١١-١٢ .

(xxxviii) علي حيدر سلمان ، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٢٦٢-٢٦٣ .

(xxxix) بيير رونان ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ، ١٩٥٤ ، ص٥٥-٦٠ .

ISSN: 1812-7576

(xl) تايلر ، المصدر السابق ، ص٥٦٢ ؛ ويرى كاتب عربي أن الصراع على المستعمرات قد بدأ منذ القرن التاسع عشر على نحو كبير ، فقد كانت فرنسا وبريطانيا لهما الأفضلية في هذا الميدان . وبعد قيام الوحدة الألمانية والإيطالية ، وقيام الولايات المتحدة ، فإنها ظهرت قوى كبرى تبحث عن المستعمرات كمظهر من مظاهر العظمة القومية ومصدر للمواد الأولية وأسواق لتصريف منتجاتها واستثماراتها.

David Thomson ; England in the nineteenth century (1815-1914) ;Great Britain -1963; " "p.203

Telegram from sir Edward gray to mr.E. Gochen no.317 dated on July (xli)
30,1914 published in g.p.gooh, harlod tempery. British documents on the origins of war 1898-1914, voli.xi, london, 1926; p.200

Telegram from sir Edward Gray to sir f. birly, no.419, dated on august 1, 1914. (xlii)
Published in b.d, p.250

Telegram from sir Edward Gray to mr barcly. No.638, dated on August 4, 1914. (xliii)
Published in b.d, p.328; David Lioyed George, war memories of David Lioyed George, vol.i; London –1936 p.51 r.c.k. Ensor, England (1970-1917), Oxford, 1966,p.496

(xliv) سمعان بطرس ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

David Thomson , OP.Cit, p.203. (xlv)

(xlvi) سمعان بطرس فرج الله ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢-٣٢٥ .

(xlvii) هناك من يرى بأن الحرب التي أرادتها ألمانيا في أول الأمر حرباً محلية مستشهدين بمحاولة ألمانيا تحييد بريطانيا في هذه الحرب . ينظر :

Bernadotte E.Schmitt; The coming of the war 1914; New York, 1930; P.49.

ISSN: 1812-7576

(xlvii) في حين يرى الرحمن الآخر بن ألمانيا كانت تريد استعراضا للقوة تحقق به نصرا دبلوماسيا لكن سمة ذلك على سبب الاستعدادات والخطط العسكرية الضخمة التي كانت تعد منذ عقود من الزمن . ينظر :

Louis Gttschalk, DonaldLach; The Transformation of Modern Europe, New York, 1951,p.570

مصادر البحث

المصادر العربية والمترجمة :

١. احمد عبد الباقي ، الثورة الصناعية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٠ .

٢. برايان بوند ، الحرب والمجتمع في أوربا (١٨٧٠ـ ١٩٧٠) ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٣. بيير رونفن ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ، ١٩٥٤ .

٤. دايلر ، الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨ ـ ١٩١٨ ، ترجمة د. كاظم هاشم نعمة ، الموصل ، ١٩٨٠ .

٥. جفري براون: الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر، ترجمة عبلة حجازي ، بيروت، ١٩٦٣.

٦. جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ .

٧. جون نيف ، الحرب والتقدم البشري ، ترجمة محمد عبد المجيد رؤوف وآخرون ، ج٢ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ .

٨. ريج هارلون اشوش : الاستعمار الحديث ، ترجمة نولت سباق ، القاهرة ، د.ت .

٩. رمزي سيور ، النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٣٦

١٠. سمعان بطرس فرج ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

ISSN: 1812-7576

١١- عبد القادر يوسف الجبوري ، التاريخ الاقتصادي ، الموصل ، ١٩٨٠ .

١٢- عبد الوهاب عبد الجبار القيسي وآخرون ، تاريخ العالم الحديث ١٩١٤-١٩٤٥ ، ط١ ، الموصل ، ١٩٨٢ .

١٣- علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة ، بغداد ، ١٩٩٠ .

١٤- غي دوبوشير ، تاريخ جنة الاستعمار ، ترجمة إدوارد الخراط ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .

١٥- كارلتون ج. هيز ، التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسين ، الموصل ، ١٩٨٧ .

١٦- وورين ك. تشايلر ، العالم في القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبود السامرائي ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٧- محمد محمد صالح ، ياسين عبد الكريم ، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .

١٨- محمد مظفر الأدهمي ، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ .

١٩- محمد عوض أحمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، مصر ، ١٩٥٣ .

٢٠- نور الدين حاطوم ، تاريخ الحركات القومية ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢١- هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار ، أشكاله وتطور أساليبه ، بغداد ، ١٩٨٩ .

٢٢- هـ. أ. ل. فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط٦ ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

<u>ثانياً : البحوث غير المنشورة :</u>

١- يقظان سعدون العامر ، أهمية روسيا في سياسة بسمارك الخارجية ١٨٧١-١٨٨٧ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

٢- يقظان سعدون العامر ، سياسة النهج الجديد وأثرها على العلاقات الألمانية والروسية ١٨٩٠-١٨٩٤ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

٣- يقظان سعدون العامر ، العلاقات الألمانية الروسية خلال عهد السياسة العالمية ١٨٩٤-١٩٠٢ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

٤ـ يقظان سعدون العامر ، معاهدة إعادة الضمان الألمانية الروسية أهميتها وأسباب عدم تجديدها ١٨٨٧ـ١٨٩٠ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

ثالثا : البحوث المنشورة :

١ـ يقظان سعدون العامر ، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة ١٨٧٠ـ١٩١٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد / ٥١ ، بغداد ، ١٩٩٥ .

٢ـ يقظان سعدون العامر : محاولات بريطانيا إشراك ألمانيا في مشكلاتها الاستعمارية في آسيا الوسطى ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد / ٣٤ ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٣ـ يقظان سعدون العامر ، معاهدة الحلف الألماني الروسي الثالثة ، مجلة المؤرخون والآثاريون ، العدد ٧/ ، بغداد ، ١٩٩٠ .

رابعا : المصادر الإنكليزية :

1- Bernadotte E Schmitt; The coming of the war 19.4; New York, 1930.

2- David Lloyd George, war memories of David Lloyed George. vol.i; London –1936.

3- David Thomson; England in the nineteenth century (1815-1914); Great Britain –1963.

4- R.C.K. Ensor, England (1870-1917), Oxford, 1966.

5- G.P.Gooch, Harlod tempery British documents on the origins of war 1898-1914, vol.xi, London; 1926.

6- James Williams; A short history of the British expansion; 2nd.ed;London-1934.

7- Louis Gottschalk, DonaldLach; The Transformation of Modern Europe, New York, 1954.

8- Wiston S.Churchill; The world crisis 1911-1918;London, 1942.

ISSN: 1812-7576